

رَأْيَاتُنَا
كُرَيْسِي

عِيْنَةٌ مِّنَ الْكُتَابِ
(لِلتَّصْفِحِ وَالْإِطْلَاعِ)

تَحْرِيَّاتُ بَارِزِ كَرْبَائِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أغاثا كريستي

تحرّيات بازكر باين

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٣٤

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

صورة الغلاف مُستوحاة من قصة «قضية ديلفي»



الأجّيال
للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لمجموعة أغاثا كريستي القصصية
المنشورة أول مرة عام ١٩٣٤ بعنوان

Parker Pyne Investigates

Copyright Agatha Christie Mallowan 1934

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٢٠

مقدّمة الناشر

لماذا هذه الطبعة؟

عندما أعلنّا -في مؤسسة الأجيال للترجمة والنشر- عن عزمنا على تقديم ترجمة جديدة لأعمال الروائية الفدّة، أغاثا كريستي، تساءل كثيرون باستغراب: لماذا تُجهدون أنفسكم وتتكلفون كثيراً من الجهد والعناء وكثيراً من المال لإعادة ترجمة هذه الروايات التي تُرجمت إلى اللغة العربية من قديم وتداولها الناس لعشرات السنين؟

ولكن الحقيقة (التي ربما بدت غريبة) أن الترجمة القديمة ذاتها هي الجواب عن هذا السؤال، إذ إن فيها من الأخطاء والنقائص ما لا يصلح معه الحال أو يستقيم بغير إعادة الترجمة وإعداد طبعة جديدة. وأول تلك النقائص (وإن بدت غير ذات أهمية للقارئ العربي ظاهراً) أن أياً من الترجمات القديمة لم تكن «شرعية» بالمعنى القانوني، أي أن الذين نفّذوها ونشروها لم يحصلوا على الإذن بطباعتها ولم يدفعوا شيئاً مقابل حقوق النشر، ومن ثمّ لم يهتموا بتجويدها أو إتقانها بقدر ما اهتموا بالربح العاجل والكسب السريع.

من هنا جاءت تلك الطبعات القديمة حافلة بالعيوب، حتى لا يكاد يصحُّ لمن قرأها أن يقول إنه -فعلاً- قرأ شيئاً من كتابات أغاثا كريستي. وإليكم جملة من تلك العيوب:

(١) في الترجمة نقص واسع وحذف كثير، يكاد يذهب -في بعض الأحيان- بثلاث النص الأصلي. وما ندري ما الذي حمل المترجمين الأوائل على اقتراف هذا الخطأ المتعمد: أهو لتقليص حجم الروايات وتوفير نفقات الطباعة على الناشر، أم لتيسير القراءة على القارئ حتى لا يَمَلَّ من قراءة رواية طويلة؟ ولكنَّ مَنْ قال إن قراءة ما حُذف يبعث على الملل؟ الحقيقة أن ما وقع من حذف وتقليص واختصار قد أربك القارئ إذ غيَّب عنه بعض التفاصيل المهمة، كما فوّت عليه الاستمتاع بكثير من «اللمسات الساحرة» من الأدب الفذِّ لأغاثا كريستي.

(٢) في الترجمات القديمة أخطاء كثيرة لأنها -بجملتها- نتاج عمل فردي متسرع هدفه الربح العاجل كما أسلفنا، وهذه الأخطاء (وكثيرٌ منها ساذج مضحك) أفسدت استمتاع القارئ بمتابعة القصة وكانت -أحياناً- عقبةً في طريق فهمه لحبكة الأحداث وعقدة الرواية.

(٣) فضلاً عن أخطاء الترجمة، حفلت تلك الطبعات القديمة بما لا يكاد يُحصى من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية وجاءت على غير نسقٍ في طبيعة ترجمتها وأسلوب كتابتها، حتى لتجد أن اسمي بطلي أغاثا الشهيرين، هيركيول بوارو والكابتن هيسْتِنغز، قد كُتبا بأشكال متنوعة وصور متباينة خلال الروايات،

وكانهما مجموعة من الأشخاص المختلفين!

(٤) أما الطباعة فمأساة لا تقل حجماً عن مأساة الترجمة وتكاد تنافسها في السوء والرداءة! امتلأت الروايات بالأخطاء المطبعية التي لم يحفل بتصحيحها أحد، وصُفّت أسوأ صف ثم طُبعت على أسوأ ورق. وما زال أولئك «الناشرون...» يصوّرون طبعة عن طبعة حتى صارت مقاطع كاملة منها مطموسةً مستعصيةً على القراءة لا تكاد تبين حروفها وألفاظها.

(٥) ثم اجتهد «الناشرون...» فوضعوا لهذه الروايات أغلفة يظنّ معها من يراها أنها ليست سوى قصص فاضحة ماجنة، فكان أن أعرض عنها كثير من الناس الذين ظنوا أن صور أغلفتها تعبّر عن محتواها، وزهد في هذا الأدب الرفيع كثيرٌ من المتأدّبين.

(٦) وأباح هؤلاء «المترجمون...» لأنفسهم أن يتدخلوا في عناوين الروايات وتبويبها وترتيبها، فمسحوا العناوين الأصلية واستبدلوا بها ما ظنّوه أكثر إثارة أو أدعى لجذب القراء. واعتدوا على تبويب الروايات فأدخلوا بعض فصولها في بعض، وعلى ترتيب مجموعات القصص القصيرة فبعثوا ما كان منتظماً وشتتوا ما كان مجتمعاً. كل ذلك بغير سبب واضح ولا تعليل مفهوم.

(٧) وأخيراً، كان العدوان الأكبر على أغاثة كريستي بأن نحلوا لها ما ليس -أصلاً- من كتابتها. وذلك أن الناشرين لما رأوا إقبال الناس على ما حمل اسمها قد طمعوا في مزيد من البيع ومزيد من الربح، فجاؤوا بروايات لا يُعرَف مؤلفوها فألحقوها بها ونسبوا إليها، حتى بلغ ما نُشر في السوق باسمها مئة وبضع

عشرة رواية، رغم أن كل ما كتبته من روايات بوليسية (وهي لها كتابات أخرى لم تُترجم بعدُ إلى العربية، كما سيأتي في ترجمتها الموجزة) ليست سوى ثمانين رواية لا غير!

* * *

فما الذي فعلناه نحن؟

اتصلنا بأصحاب الحقوق (ورثة المؤلف) ففقدنا معهم اتفاقاً ووقعنا عقداً ينصّ على الحقّ الحصري لنا بالطبعة العربية عبر العالم، ودفعنا مبلغاً كبيراً من المال مقابل هذا الاتفاق. بعد ذلك بدأنا بمشوار الترجمة الطويل الذي استغرق أكثر من عشر سنوات من العمل الشاق الدؤوب، المتعب والممتع في آنٍ معاً، ونفدنا العمل بالأسلوب التالي:

(١) الترجمة على مرحلتين: يُترجم العمل -أولاً- بالكامل، ثم يُراجع مراجعة كاملة شاملة وكأنه ترجمة جديدة يقوم بها مترجم آخر. وكلا العاملين تولاه مترجمون محترفون أصحاب خبرة وكفاية ودراية واسعة باللغتين، العربية والإنكليزية.

(٢) التحرير: وفي هذه المرحلة أُخضعت الترجمات لمراجعة كاملة دقيقة لكل نص مترجم؛ أسلوبياً ولغوياً ونحوياً وإملائياً، مع العناية بالتفكير والترقيم (وضع العلامات من نقطة وفاصلة وسواهما). وتولّى هذا العملَ واحدٌ من أفضل المختصين في هذا المجال.

(٣) الصفّ والإخراج: وقد نُفِّذَ هذا العمل لدى أفضل

مراكز الصف، وبُذِل في الإخراج من الجهد غايته ليأتي على أفضل شكل ممكن. وكان أن وقع الاختيار على قَطْع الكتاب بالشكل الذي يجده القارئ بين يديه بعد استقراء لميول كثير من القراء وُجد فيه أن الغالبية منهم يفضلون -للروايات- هذا الحجم مقابل الحجم الكبير للكتب العلمية وكتب التراث.

(٤) ثم كانت المراجعةُ بعد المراجعة للنص النهائي المصنوف للتأكد من سلامته من أي خطأ أو سهو. كل ذلك ابتغاء الوصول إلى غاية الاتقان والحصول على أفضل عمل ممكن يطيقه الجهد البشري.

* * *

نعم، نحن لم نحقق كتباً عظيمة من كتب العلم ولم نترجم أعظم روائع الأدب العالمي، ولكن المرء مطالبٌ -إذا عمل- بأن يتقن عمله؛ تلك واحدة من وصايا الشرع. ثم إن في أدب أغانا كريستي من الجمال والرقِي ما يستحق السعي إلى مثله -إذ يُترجم- في النص المُعرَّب.

وأخيراً، فإن القارئ العربي الذي سيدفع قيمة هذه الكتب مالاً من جيبه ثم يصرف لقراءتها ساعات من وقته جديراً بالحصول على الأفضل. وهذا هو بالذات ما سعينا إليه في نهاية المطاف. فهل وُفقنا؟ نرجو أن نكون، وأنت -عزيزنا القارئ- خيرُ حَكَم.

الأجيال

منهجنا في التحرير

أردنا لهذه الطبعة أن تخرج متميزةً في سلامة لغتها وصحة صياغتها وقوة أسلوبها، فبذلنا في تحريرها غاية الجهد وأقصى الاهتمام، واضطررنا -في سبيل ذلك- إلى مراجعة المادة المترجمة مرةً بعد مرة، غيرَ عابئين بما نصرفه من وقت أو نبذله من طاقة، حتى وصلنا إلى ما نحسبه عملاً مقبولاً يرضى عنه القارئ ويُرضينا نحن عن أنفسنا.

وقد أحببنا أن نضع بين يدي القارئ هذه الملاحظات حول الأسلوب الذي اتبعناه في المراجعة والتحرير:

ففي اللغة: نَهَجْنَا اعْتِمَادَ الفصاحة بلا تكلّف، فاعتمدنا من الألفاظ الدائرة على ألسنة الناس ما وافق العربية، وتجنبنا كل لفظ غريب. وفي هذا المقام كرّسنا ما اعتمده مجمع اللغة العربية ووافق عليه مما ورد في معجمه «الوسيط»، مثل «السَّلْطَة» و«الكُشْكُ»، ومثل قولهم: «سَرَّحَ العامل» (بمعنى أخلاه وصرّفه من عمله) و«أشَرَ على الكتاب» (أي وضع عليه إشارة برأيه)، ومثل هذا كثير.

وقد تنبّهنا إلى بعض المفردات مما يُخَلَطُ فيه بين المذكور

والمؤنث والمفرد والجمع، «فالمستشفى» مذكّر يُؤنّث خطأً، و«الحماس» بالتذكير لفظ غير موجود في اللغة، بل هي «الحماسة» بالتأنيث، والرأس مذكّر لا يجوز تأنيثه (كما يشيع في الكتابات المصرية خاصة).

وكذلك تنبّهنا إلى بعض ما درج على الألسنة والأفلام من مفردات غير صحيحة، فأبدلنا بها ما صحّ وسُمِعَ عن العرب في هذا المقام، مثل قولهم: «خصيصاً» والصواب «خصوصاً»، و«جاؤوا سوياً» والصواب «جاؤوا معاً» لأن «سوياً» تعني الاستواء والعدل (كقولك: قسمت المال بينهم بالسوية)، و«المجوهرات»، وهو جمع غريب لم يُسمَع، والصحيح «الجواهر»، ومثل ذلك كثير.

وفي أسماء الشهور اخترنا كتابة الاسم العربي للشهر متبوعاً بالاسم الأعجمي بين قوسين، لأن من بلدان العرب (مع الأسف) من لا يعرف أهلها أسماء الشهور العربية، كأهل مصر وأكثر بلاد الجزيرة العربية وبلدان المغرب العربي كلها. فنكتبها بهذه الطريقة: حزيران (يونيو)، تشرين الثاني (نوفمبر)، إلخ.

وفي الإملاء: كتبنا «إذن» بالنون مطلقاً، عملت أو لم تعمل، وهو مذهب الأكثرين من أهل اللغة، وكان المبرّد يقول: "أشتهي أن أكوي يد من يكتب إذن بالألف، لأنها مثل أن ولن".

وفي بعض الألفاظ التي يجوز فيها الوصل والفصل (مثل: قلّ ما) اخترنا الوصل مطلقاً فكتبناها: «قلّما» أسوةً بأمثالها، فقد اتفقوا على أن يكتبوا بالوصل «مما» (من ما) و«عمّا» (عن ما) و«إلّا» (إن لا)، ومثلها: «إنّما» و«حيثما» و«كيفما»، إلخ.

واخترنا في لفظ «مئة» كتابتها من غير ألف، وهو رأيٌ لكثير من العلماء نقله السيوطي في «همع الهوامع» واعتمده عبد الغني الدقر في «معجم قواعد اللغة العربية»، قال: «وهو أقرب إلى الصواب». وفي عدد المئات (كثلاثمئة وخمسمئة، الخ) اخترنا كتابتها متصلةً غير منفصلة (لا كما يفعل بعضهم فيكتبونها: ثلاث مئة وخمس مئة، إلخ).

وحرصنا -في الطبع- على أن تُثبَّت همزات القطع وتُحدَف همزات الوصل، وهو الصحيح في الكتابة. وحرصنا على عدم الوقوع في الخطأ الذي يقع فيه كثيرٌ من الطابعين إذ يخلطون بين الألف المقصورة والياء المتطرفة في آخر الكلمة فينقطون الاثنتين أو يجردونهما كليهما من النقط، ومثل ذلك بالنسبة للتاء المربوطة والهاء المتطرفة. وحرصنا -أيضاً- على إثبات تنوين الفتح مطلقاً، وأثبتنا تنوين الضم والكسر في كل حالة خشينا فيها الالتباس.

وكذلك أثبتنا علامات الشَّكل الأصلية (الفتحة والضمة والكسرة والسكون) في كل حالة يُخشى فيها الالتباس، كالتفريق بين الفعل المبني للمجهول والمبني للمعلوم، وبين فعلي المضارع والأمر، والمثنى وجمع المذكر السالم في حالي النصب والجر، وغير ذلك. وحرصنا على إثبات الشدَّة -خصوصاً- في غير المواضع المدركة سليقةً، إذ هي دلالة على حرف محذوف.

أما علامات الترقيم (من نقطة وفاصلة وعلامة استفهام وغيرها)، فقد أوليناها كل عناية ممكنة، فهي -كما سمّاها بعض الأدباء- «علاماتٌ للتفهم»، بها يتم المعنى ويَصِحُّ المقصود.

وأتبعنا في تحديد العلامات ومواضعها الأصول التي اعتمدها أهل البحث واللغة، وعلى رأسهم العلامة أحمد زكي باشا في كتابه القيم «التقييم وعلاماته في اللغة العربية» مع بعض التصرف بما يوافق الأصول الحديثة المتبعة في عالم النشر في هذا العصر.

وأخيراً، نظرنا في كتابة الحروف الأجنبية التي ليس لأصواتها مقابل في لغتنا العربية، فوجدنا القوم قد اختلفوا فيها اختلافاً كبيراً.

فأما الباء الشديدة (P) فقد كتبوها بـاء بثلاث نقاط، فاعتمدنا لها الباء العادية، إذ ليس من المتيسر في الصف والطباعة توفير باء مثلثة، كما أن هذا الرسم غير متفق عليه ولا هو معتمد من جهة علمية ذات شأن كمجمع اللغة العربية. وكذلك فعلنا في الحرف (V) فكتبناه فاء عادية بنقطة واحدة.

أما الحرف الذي أثار أكبر اضطراب فهو الحرف (G) الذي يسمونه «جيماً مصرية». فلأجل نطق أهل مصر الجيم بهذا الصوت اعتمد له كثيرون صورة الجيم، ولكن لو تأملت مخرج هذا الحرف ومخرج الجيم لوجدتهما متباعدين تباعداً بيناً، ولوجدت أن ما يقاربه في لغتنا مخرجاً (في النطق) هي الغين والقاف والكاف. وقد كان هذا الصوت يُكتب -فيما نُقل قديماً عن الفارسية- كافاً فوقها خط، وهي صورة لم يُتفق عليها فماتت واندثرت. وأهل الخليج يكتبون -اليوم- هذا الصوت قافاً، ويكتبه آخرون غيناً، وهو ما اخترناه لما وجدنا من قوة الدليل عليه. وانظر كيف كتبوا أكثر ما عربوا من أسماء البلدان كذلك فقالوا: «البرتغال» و«غانا» و«السنغال» و«بلغاريا» و«غرينتش»... وأمثال ذلك كثير كثير.

وهكذا كتبنا اسم مؤلفة هذه القصص «أغاثا» خلافاً لما كان شائعاً من كتابتها بالجيم. واستثنينا من الكتابة بالعين فقط كلمة «إنكلترا» والنسبة إليها (إنكليز وإنكليزية) لشيوع كتابتها بالكاف بين المتعلمين وطلبة المدارس ولمناسبة المخرج، فأثبتناها بالكاف كما هي هنا.

أما أكثر ما يربك فهو كتابة الحروف الصوتية الطويلة في الأسماء الأجنبية. ففي العربية ثلاثة أصوات طويلة لا غير: الألف والواو والياء، أما في الإنكليزية فتوجد ثمانية أصوات طويلة: الألف المرقّعة (كما في: cat)، والألف المفخّمة (كما في: car)، والألف الممالة (كما في: care)، والواو المشبعة (كما في: boot)، والواو الممالة المرقّعة (كما في: bone)، والواو الممالة المفخّمة (كما في: orange)، والياء المشبعة (كما في: me)، والياء الممالة (كما في: urgent). وقد قربنا -في الرسم العربي- كل أنواع الألف فكتبناها ألفاً، وكل أنواع الواو فكتبناها واواً، ونوعِي الياء فكتبناها ياءً، ما عدا الألف الممالة التي اجتهدنا في كتابتها ياء (كما في Hastings)، صاحب بوارو الشهير في كثير من الروايات، كتبناه هيسْتِنَغْز).

هذا ما اجتهدنا فيه وذهبنا إليه، آمليْن أن يكون اجتهدنا صحيحاً وأن نكون قد هُدينا فيه إلى الصواب، فيكون العمل الذي نقدمه إلى قرائنا سليماً صحيحاً معافى من العيوب. والله المستعان.

المحرّر

* * *

المؤلفة في سطور

تُعتبر أغانا كريستي أعظمَ مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَنْ كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِع منها بليونَي (ألفي مليون) نسخة!

وُلدت أغانا كريستي في بلدة توركي بجنوب إنكلترا عام ١٨٩٠، وتوفيت عام ١٩٧٦ وعمرها نحو خمسة وثمانين عاماً. لم تذهب أغانا قطّ إلى المدرسة، بل تلقت تعليمها في البيت على يد أمها التي دفعتها إلى الكتابة وشجعتها عليها في وقت مبكر من حياتها، كما تخبرنا هي نفسها، فحينما كانت نزيلة فراشها تتعافى من مرضٍ ألمّ بها سألتها أمها: "لماذا لا تكتبين قصة؟". أجابت فوراً: "لا أظن أنني قادرة على ذلك"، فقالت أمها: "بلى، تستطيعين؛ جرّبي وسترين".

عندئذ كتبت أغانا كريستي أول رواية لها وعنوانها «ثلوج على الصحراء»، وهي رواية رفضها الناشرون فلم تُنشر قط. أما الرواية الثانية «القضية الغامضة في ستايلز» (التي ظهر فيها بوارو

للمرة الأولى) فقد أدخلتها إلى عالم الكتابة الرحيب، وذلك حين نُشرت -أخيراً- بعدما رفضها ستة من الناشرين، وبعدها حبسها الناشر السابع في أدراجه لمدة ثمانية عشر شهراً متردداً في نشرها!

* * *

عاشت أغانا طفولة سعيدة، إذ كانت صغرى ثلاثة أولاد لأبٍ مرحٍ مُحبٍّ للحياة وأم ذكية تحب الطموح، وقد ظلت -حتى آخر حياتها- تذكر بيتها الذي وُلدت ونشأت فيه بكثير من الشوق والحنين. ولكن هذه السعادة لم تدم، فقد توفي والدها وهي في الحادية عشرة مخلفاً لأسرته مشكلات مادية لم تلبث أن أدخلت أغانا في عالم المسؤولية في ظروف صعبة.

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى تطوعت أغانا للعمل في أحد المستشفيات ممرضةً تساعد جرحى الحرب. وفي هذا المستشفى عملت بتحضير الأدوية وتركيبها وتعرفت إلى السموم المختلفة، وهو الأمر الذي كانت له فائدة عظيمة في كتاباتها اللاحقة عن الجرائم.

وفي تلك الفترة، في عام ١٩١٤، تزوجت طياراً شاباً اسمه آرشيالد كريستي، ولكنها انفصلت عنه عام ١٩٢٨ بعد موت والدتها بقليل. ولم تلبث أن تزوجت مرة أخرى عام ١٩٣٠ عالم الآثار الشهير السير ماكس مألوان، وهو الذي أمضت برفقته سنوات من عمرها في المشرق (في العراق وسوريا ومصر) فجاءت أحداث عدد من رواياتها لتقع في هذه البلاد، مثل: «موت فوق النيل» و«لقاء في بغداد» و«جريمة في بلاد الرافدين» و«موعد مع

الموت». وحينما سافرت على متن قطار الشرق السريع خرجت
بواحدة من أشهر رواياتها: «جريمة في قطار الشرق».

تحدثت أغانا كريستي عن نفسها فقالت: «لو سُئلت عن
ميولي لأجبت بأنني أحب كل طعام جيد، وأكره الكحول وكل
ما يدخل في صنعه الكحول. حاولت التدخين فوجدته بغيضاً ولم
أجد ما يغريني بالتحقق به. أحب الأزهار، وأعشق البحر، وأهوى
السفر ولا سيما في بلدان الشرق الأدنى. أحب المسرح وأكره
الأفلام الناطقة إذ أعجز عن متابعتها، وأكره الإذاعة وضوضاءها،
وأبغض المدن وازدحامها».

أما رواياتها فتتميز بدقة حَبْكتها وترابط أحداثها ومنطقية
تسلسلها، تغور فيها في أعماق النفوس البشرية محللةً كوامنها
باحثةً عن دوافعها بعبقرية فذة وبصيرة نافذة. وهي قصص «نظيفة»
بريئة من إثارة المشاعر والغرائز وليس فيها ما يُخجل أو يسوء.
وقد حرصت على أن تقول لنا فيها دائماً: «لا بدّ أن ينتصر الخير»،
و«الجريمة لا تفيد».

* * *

أشهر أبطالها هيركيول (هرقل) بوارو، والآنسة ماربل. أما
بوارو فقد «وُلد» عام ١٩٢٠ في «قضية ستايلز الغامضة»، ثم استمرّ
بالظهور في روايات لاحقة لمدة خمس وخمسين سنة. وهو محقق
بلجيكي وشرطي متقاعد أهمّ ما يميّزه ذكائه الخارق (النتائج عن
«الخلايا الرمادية الصغيرة» في دماغه!) وشارباه العظيمان اللذان
ليس لهما مثل في بريطانيا! وغالباً ما يرافقه في تحقيقاته صاحبه

الشهير، الضابط المتقاعد، الكابتن هيسْتِنْغز، الذي يتميز بطبيعته الطيبة وذكائه المتواضع وحبهِ الكبير لبوارو.

وأما الأنسة ماربل فهي عانس عجوز ذات ذكاء بالغ وإدراك عجيب، وتتمتع بقدرة فذة على الملاحظة والتحليل وفهم عميق للنفس البشرية بحيث تكشف أسرار الجرائم مستفيدةً من شبكة واسعة من الأصدقاء والمعارف والعلاقات الاجتماعية الناجحة.

* * *

كتبت أغانا كريستي من روايات وقصص الجريمة سبعا وستين رواية طويلة وعشرات من القصص القصيرة التي نُشرت في ثلاث عشرة مجموعة، وبذلك يكون عدد ما نُشر لها من الأعمال البوليسية ثمانين كتاباً. كما كتبت ستَّ روايات طويلة رومنسية باسم مستعار هو «ماري ويستماكوت»، وست عشرة مسرحية أشهرها «مصيصة الفئران» التي تُعتبر أطول المسرحيات عرضاً في التاريخ، إذ ما زالت تُعرض في لندن (دون انقطاع تقريباً) منذ عام ١٩٥٢.

أما سيرة حياتها التي كتبها قبيل وفاتها فقد نُشرت بعد موتها بعام واحد، وسوف نقدّم ترجمتها إلى قرائنا (مع كتاب ذكرياتها الآخر «أخبريني كيف تعيشين» الذي نشرته عام ١٩٤٦ وسردت فيه ذكرياتها عن رحلاتها مع زوجها) حيث ستكون هذه هي المرة الأولى التي يُترجم فيها هذان الكتابان إلى اللغة العربية.

* * *

قضية الجندي السِّمِّ

تردد الميجر ويلبراهام خارج باب مكتب السيد باركر باين ليقرأ، كما قرأ مراراً من قبل، الإعلان الذي قرأه في صحيفة الصباح والذي أحضره إلى هنا. كان إعلاناً بسيطاً تماماً: "هل أنت سعيد؟ إن لم تكن سعيداً فاستشر السيد باركر باين، ١٧ شارع ريتشموند".

سحب الميجر نفساً عميقاً ودخل من الباب الدوار المؤدي إلى المكتب الخارجي، رفعت فتاة دميمة بصرها عن آلة الطباعة ونظرت إليه متسائلة.

قال الميجر ويلبراهام وقد احمرّ وجهه: مكتب السيد باركر باين؟

- تفضل من هنا رجاء.

تبعها إلى مكتب داخلي... إلى حضرة السيد الهادئ باركر باين، الذي بادره قائلاً: صباح الخير. هل لك أن تفضل بالجلوس؟ والآن، قل لي ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك.

بدأ الرجل حديثه: اسمي هو ويلبراهام...

- ميجر؟ أم كولونيل؟

- بل ميجر.

- آه! وقد عدت مؤخراً من الخارج. الهند؟ أم شرق أفريقيا؟

- بل شرق أفريقيا.

- أظنها مكاناً رائعاً. حسناً، فقد عدت ثانية إلى الوطن إذن،

وأنت غير مرتاح لذلك. أليست هذه هي المشكلة؟

- أنت مُحقٌ تماماً، مع أنني لا أعرف كيف عرفت.

لوح السيد باركر باين بيدٍ مؤثرة وقال: إن عملي هو أن أعرف، فلمدة خمسة وثلاثين عاماً من حياتي كنتُ أعمل في جمع الإحصائيات في مكتب حكومي. وقد تقاعدتُ الآن، وخطر لي أن أستخدم الخبرة التي حصلتُ عليها بطريقة مبتكرة. والأمر كله بسيط جداً. أوكد لك أن التعاسة يمكن تصنيفها تحت خمسة عناوين كبيرة، لا أكثر، وبمجرد أن تعرف سبب المرض لا يعود العلاج مستحيلاً.

إنني أقوم بمقام الطبيب، فالطبيب يشخص علة مريضه أولاً، ثم يمضي ليصف طريقة علاج. وهناك حالات لا يكون فيها العلاج ذا فائدة، وإذا كان الأمر كذلك فإنني أقول -بصراحة- إنني لا أستطيع فعل شيء، أما إن توليتُ القضية فإن العلاج يكون مضموناً عملياً.

إن بوسعي أن أوكد لك -يا ميجر ويلبراهام- أن ستة وتسعين بالمئة من بُناة الإمبراطورية (كما أسميهم) تُعساء. إنهم يتخلّون عن حياة نشيطة، حياة مليئة بالمسؤولية، حياة ذات أخطار مُحتملة، يتخلّون عنها مقابل... ماذا؟ مقابل فقر، وطقس سيء، وشعور عام بأنهم كالسمكة خارج الماء.

قال الميجر: كل ما قلته صحيح. إن ما أشكو منه هو الملل،

الملل والكلام التافه الذي لا ينتهي حول شؤون القرية. ولكن ما الذي أستطيع فعله إزاء ذلك؟ لديّ مبلغ صغير من المال بالإضافة إلى راتبي التقاعدي، ولديّ بيت صغير رائع قرب كوبهام، ولستُ متزوجاً. وجيراني جميعهم طيبون، ولكن ليست لديهم اهتمامات ذات شأن.

- خلاصة القول أنك تجد الحياة مملة.

- مملة جداً.

- وأنت ترغب بالمتعة، وربما بالخطر؟

رفع العسكري كتفيه بلا مبالاة وقال: لا وجود لشيء من هذا في هذا البلد التّعس.

قال السيد باركر باين بصرامة: اعذرني، ولكنك مخطئ في هذا الافتراض، إذ يوجد الكثير من الخطر والكثير من التشويق هنا في لندن إن عرف المرء أين يطلبه. أنت لم ترِ إلا السطح من حياتنا الإنكليزية، السطح الهادئ الممتع. ولكن يوجد جانب آخر، وإن كنت ترغب فإن بوسعي أن أريك ذلك الجانب الآخر.

نظر إليه الميجر ويلبراهام متأملاً.

كان في السيد باركر باين شيء يبعث على الاطمئنان. كان رجلاً ضخماً، ناهيك عن سمته، وكان ذا رأس أصلع ضخم ويضع نظارات سميكة فوق عينيه اللتين ترمشان باستمرار. وكان له جوٌّ يعطي انطباعاً بأنه ممن يُعتمد عليهم.

مضى السيد باركر باين قائلاً: غير أن عليّ أن أحذرك من أن في الأمر عنصر مجازفة.

التمعت عينا العسكري وقال: "لا بأس بذلك". ثم قال فجأة:
وأتعابك؟

- أتعابي هي خمسون جنيهاً تُدفع مقدماً. وخلال شهر، إذا ما
بقيت في نفس الحالة من الملل سأعيد إليك المبلغ.
فكر ويلبراهام قليلاً ثم قال أخيراً: عرض مُنصف... موافق.
سأعطيك شيكاً الآن.

وهكذا أبرمت الصفقة، وضغط السيد باركر باين على جرس
على طاولته وقال: الساعة الآن الواحدة، وسأطلب منك أن تأخذ
شابة لتناول الغداء.

فُتح الباب فقال السيد باركر باين: آه، عزيزتي مادلين! دعيني
أُعرِّفك على الميجر ويلبراهام الذي سيصحبك إلى الغداء.
قال الميجر: يسرني ذلك.

قال السيد باركر باين: الآنسة دي سارا.

تمتت مادلين دي سارا: هذا لطف بالغ منك.

قال السيد باركر باين مخاطباً الميجر: لديّ عنوانك هنا،
وستستلم غداً صباحاً تعليمات إضافية مني.

* * *

كانت الساعة الثالثة عندما عادت مادلين. رفع السيد باركر باين
بصره وسأل: حسناً، ماذا جرى؟

هزت مادلين رأسها وقالت: لقد خاف مني، فقد ظن أنني

أستهدف استغلاله.

- هذا ما توقعته. هل نفذت تعليماتي؟

- نعم، لقد أخذنا راحتنا في التعليق على من كان حولنا في المطعم. إن النوع الذي يحبه هو الشقراء ذات العينين الزرقاوين، مع شيء من الشحوب، دون أن تكون بالغة الطول.

- يُفترض أن يكون هذا سهلاً. أعطيني الخطة «ب» لأرى ما لدينا من خيارات في الوقت الراهن.

ومرر إصبعه نزولاً على إحدى القوائم حتى أوقفها أخيراً على اسم وقال: "فريدا كليغ. نعم، أظن أن فريدا ستقوم بالمهمة بشكل رائع". ثم أضاف قائلاً بشيء من التأمل: يُستحسن أن أرى السيدة أوليفر بخصوص الأمر.

* * *

في اليوم التالي تلقى الميجر ويلبراهام رسالة جاء فيها:

في الساعة التاسعة من يوم الإثنين القادم اذهب إلى المنزل رقم ٨٩، شارع فرايرز لين، هامبستد، واسأل عن السيد جونز. وسوف تقدم نفسك باعتبارك قادماً من شركة غوفا للشحن.

* * *

انطلق الميجر يوم الإثنين الذي تلا ذلك (وكان يوم عطلة) قاصداً ذلك العنوان في هامبستد. وأقول إنه انطلق، ولكنه لم يصل

إلى هناك أبداً، إذ حدث شيء قبل أن يصل إلى هناك.

بدا أن العالم كله كان في طريقه إلى هامبستد، وقد علق الميجر ويلبراهام ضمن حشود، وكاد الازدحام في قطار الأنفاق أن يخنقه، ووجد صعوبة في العثور على المكان. كان فرايزرُ لين شارعاً مُغلقاً مهملاً تملؤه الجردان، على جانبيه بيوت ابتعدت قليلاً عن الطريق إلى الخلف. كانت بيوتاً كبيرة شهدت فيما مضى أياماً أفضل من أيامها هذه، إلا أنها باتت خربة الآن.

مشى ويلبراهام في الشارع يحدق النظر إلى لوحات الأرقام التي أوشكت أن تنمحي عن بوابات البيوت، وفجأة سمع شيئاً جعله يتصلب بكل انتباه. كان الصوت أقرب إلى الغرغرة، صوت صيحة نصف مخنوقة. ثم سمع الصوت ثانية، ولكنه في هذه المرة كاد يشبه كلمة «النجدة»، وقد جاء الصوت من داخل البيت الذي كان يمر أمامه.

ودون أية لحظة تردد دفع الميجر ويلبراهام بوابة البيت المُخلّعة وتسلل من دون صوت عبر الممشى المغطى بالأعشاب، وهناك، بين الشجيرات، كانت فتاة تكافح وهي في قبضة عملاقين من الزنوج. كانت تبلي بلاء حسناً في مقاومتهما وتقاوم وتضرب بقدميها، وكان أحد الزنوجيين يكمم فمها بيده رغم محاولاتها المستميتة لتخليص رأسها.

وبما أن الرجلين كانا منصرفين إلى صراعهما مع الفتاة فإنهما لم ينتبها لتقدم ويلبراهام، وكان أول انتباههما لذلك عندما وجه الميجر لكمة عنيفة لفق الرجل الممسك بقم الفتاة مما جعله يتراجع إلى الخلف. وقام الثاني، وقد أخذته المفاجأة، بترك الفتاة والالتفات

ولكن ويلبراهام كان مستعداً له فعاجله بلكمة أخرى جعلته يتراجع ويسقط ، ثم التفت الميجر إلى الرجل الآخر الذي كان يقترب منه .

ولكن الرجلين نالا نصيهما. تدحرج الرجل الثاني وجلس ثم نهض واندفع باتجاه البوابة ، ولحق به صاحبه سريعاً. وانطلق الميجر خلفهما ، ثم غيّر رأيه والتفت إلى الفتاة التي كانت متكئة على شجرة وهي تلهث .

قالت لاهثة : آه ، شكراً لك ! كان ذلك فظيماً .

رأى الميجر ويلبراهام للمرة الأولى الفتاة التي أنقذها بمحض المصادفة. كانت في نحو الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين من عمرها ، شقراء زرقاء العينين ، جميلة مع شيء من الشحوب في وجهها .

شهقت قائلة : لو لم تأتِ !

قال الميجر مُهدّئاً : لا بأس ، لا بأس الآن . ولكن أظن أن علينا الخروج من هنا ، فربما عاد هذان الرجلان .

ارتسمت على شفتي الفتاة ابتسامة خفيفة وقالت : لا أظنهما سيعودان ... ليس بعدما لقياه منك . لقد كان ذلك رائعاً منك !

احمّر وجه الميجر أمام حرارة نظرة الإعجاب في عينيها وقال بارتباك : لا يوجد ما يستحق الإطراء . إنه أمر طبيعي تماماً ... عندما تتعرض سيدة للمضايقة ... اسمعي ، هل تستطيعين السير إذا اتكأتِ على ذراعي؟ أعرف أنها كانت صدمة شديدة عليك .

- أنا بخير الآن .

ومع ذلك فقد اتكأت على الذراع التي مُدَّت لها. كانت ما تزال مضطربة قليلاً، ونظرت خلفها إلى البيت وهما يخرجان من البوابة وقالت: لا يمكنني تخيل ذلك. من الواضح أن هذا البيت فارغ. وافقها الميجر وهو ينظر إلى النوافذ المحطمة والبلى الذي لحق بالبيت: إنه خالٍ بالتأكيد.

قالت وهي تشير إلى اسم كاد ينمحي عند البوابة: ومع ذلك فهو منزل وايت فرايرز، وهو المكان الذي يُفترض أن آتي إليه. - لا تقلقي تجاه أي شيء الآن. بعد لحظات سيكون بوسعنا استئجار سيارة أجرة، وعندها سنذهب إلى مكان ما ونشرب فنجان قهوة.

وعند نهاية الزقاق خرجا إلى شارع أكثر حركة، ولحسن حظهما كانت سيارة أجرة قد أنزلت لتوها ركباً عند أحد البيوت. لَوَّح لها ويلبراهام، ثم أعطى السائق عنواناً وصعدا السيارة. قال لرفيقتة: لا تحاولي الكلام، تمددي فقط. لقد تعرضت لتجربة فظيعة.

ابتسمت له بامتنان، فقال: بالمناسبة، اسمي ويلبراهام.

- اسمي كليغ... فريدا كليغ.

بعد عشر دقائق كانت فريدا كليغ تحتسي قهوة حارة وتنظر عبر الطاولة الصغيرة إلى منقذها بامتنان. قالت: يبدو الأمر أشبه بالحلم، بل بالحلم السيئ.

ارتعدت ثم أضافت: وقبل فترة قصيرة فقط كنتُ أتوق إلى

حدوث شيء... أي شيء! آه، إنني لا أحب المغامرات.

- أخبريني كيف حدث ذلك.

- حسناً، حتى أخبرك بشكل جيد سيتعين عليّ أن أتحدث كثيراً عن نفسي.

قال الميجر وهو ينحني: وهو موضوع ممتاز.

- أنا يتيمة. مات والدي (وكان قبطاناً بحرياً) عندما كنت في الثامنة من عمري، وتوفيت أُمي قبل ثلاث سنوات. وأنا أعمل في المدينة... موظفة في شركة للغاز. في إحدى أمسيات الأسبوع الماضي وجدتُ رجلاً ينتظر ليراني عندما عدتُ إلى بيتي، وكان محامياً يُدعى السيد ريد من ملبورن.

وقد كان مؤدباً جداً وسألني عدة أسئلة عن عائلتي، وقد شرح قائلاً إنه عرف والدي قبل سنوات كثيرة، بل إنه قام بتنفيذ صفقة قانونية له. ثم أخبرني بسبب زيارته فقال: "آنسة كليغ، إن لديّ أسباباً تدعوني للاعتقاد بأنك قد تستفيدين من صفقة مالية اشترك فيها أبوك قبل وفاته بسنوات عديدة".

وقد دهشتُ كثيراً بالطبع، ولكنه مضى قائلاً: من غير المحتمل أن تكوني قد سمعتِ بهذه القضية أبداً، وأحسب أن جون كليغ لم يأخذ تلك الصفقة على محمل الجد أبداً، وقد تحققت على غير توقع. ولكنني أخشى أن تعتمد أية مطالبة تقدمينها على امتلاكك أوراقاً معينة. ويحتمل أن تكون هذه الأوراق جزءاً من تركة والدك، ومن الممكن -طبعاً- أن تكون قد أُلّفت باعتبارها غير ذات قيمة. فهل احتفظتِ بأيّ من أوراق والدك؟

شرحتُ له أن والدتي قد احتفظت بالعديد من أغراض والدي في صندوق قديم ، وأني قد بحثتُ فيه على عجل ولكن لم أكتشف شيئاً ذا أهمية ، فقال لي وهو يتسّم: لا يكاد يكون من المرجح أن تدركي أهمية تلك الوثائق.

عندها قمتُ فذهبتُ إلى الصندوق فأخرجت منه الأوراق القليلة التي يحتويها وجئتُ بها إليه. نظر إلى الأوراق، ولكنه قال إنه من المستحيل أن يستطيع الجزم فوراً بما هو مرتبط منها بالقضية وما هو غير مرتبط، وقال إنه سيأخذها معه وسيصل بي إن جدّ شيء. وفي البريد المسائي ليوم السبت تلقيت منه رسالة يقترح فيها عليّ أن آتي إلى بيته لمناقشة القضية، وقد أعطاني العنوان: منزل وايت فرايرز، بشارع فرايرز لين، في هامبستد. على أن أكون هناك في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم.

وقد تأخرتُ قليلاً في العثور على المكان، ودخلتُ البوابة بسرعة واتجهتُ صوب البيت حيث قفز هذان الرجلان الفظيعان فجأة عليّ من بين الأغصان. ولم يتح لي من الوقت ما أصرخ معه، ولكنني خلّصتُ رأسي بصعوبة وصرخت، فقام أحدهما بوضع يده على فمي. وخلّصتُ رأسي ثانية وصرختُ طالبة النجدة، ولحسن الحظ أنك سمعتني، ولولاك...

ثم توقفت، وكانت عيناها أفصح من أي كلام.

- إنني سعيد جداً لمصادفة وجودي في ذلك المكان بالضبط،
وإنني لأتمنى أن أمسك بهذين الوحشين. هل رأيتهما من قبل؟

هزت رأسها بالنفي وقالت: ما معنى ذلك برأيك؟

- من الصعب الجزم، ولكن يبدو شيء واحد مؤكداً، يوجد شيء ما بين أوراق أبيك، وأحدهم يريد. لقد أخبرك هذا الرجل، ريد، بقصة ملفقة بحيث يحصل على فرصة تفتيش الوثائق. والواضح أن ما أراده لم يكن هناك.

- آه، عجباً! عندما عدتُ إلى البيت يوم السبت ظننتُ أن أحدهم قد عبث بأغراضي، والصراحة أنني شككتُ بأن صاحبة البيت فتشت غرفتي بدافع الفضول. ولكن الآن...

- ثقي بما أقوله، تلك هي المسألة. لقد استطاع أحدهم دخول غرفتك وقام بتفتيشها دون أن يجد مبتغاه، وقد شكَّ بأنك تعرفين قيمة تلك الورقة كائناً ما كانت وأنتِ تحملينها معك دوماً، وهكذا خطط لهذا الكمين. فإن وُجدت معك أخذوها، وإن لم توجد احتفظوا بك سجيناً حتى تخبريهم بمكانها.

صاحت فريداً: ولكن ما عساها تكون؟

- لا أدري، ولكنها ثمينة جداً بالنسبة له دون شك، حتى يبلغ به الأمر القيام بكل ذلك.

- لا يبدو هذا ممكناً.

- آه، لا أدري. لقد كان والدك بحاراً، وقد سافر إلى أماكن بعيدة نائية، ربما عشر على شيء لم يدرك قيمته أبداً.

ظهرت حمرة الانفعال على وجنتي الفتاة وقالت: أتظن ذلك حقاً؟

- نعم، بالتأكيد. المسألة هي: «ما الذي سنفعله الآن؟»...
لا أحسبك تريدين اللجوء للشرطة؟

- آه، لا أريد ذلك رجاء.

- يسعدني أن تقولي ذلك، فأنا لا أرى ما يمكن أن يفعله
الشرطة، ولن يسبب لك ذلك إلا المضايقة. أقترح الآن أن تسمحي
لي بأن أدعوك إلى الغداء، ثم أرافقك إلى بيتك لأضمن وصولك
بأمان إلى هناك. وبعدها يمكننا أن نبحث عن الورقة، لأنها ينبغي أن
تكون موجودة في مكان ما.

- ربما يكون والدي نفسه قد أتلفها.

- هذا ممكن بالطبع، ولكن الطرف الآخر لا يبدو مقتنعاً
بذلك، وهذا يحمل لنا بعض الأمل.

- ماذا تظنها تكون؟ كنزاً مدفوناً؟

هتف الميجر وقد استيقظت فيه مشاعر المغامرة لهذا الاقتراح:
قد تكون كذلك! ولكن هيا الآن إلى الغداء يا آنسة كليغ.

تناولا وجبة رائعة معاً، وروى الميجر لها كل شيء عن حياته
في شرق أفريقيا واصفاً لها صيد الفيلة، بحيث أثار متعتها. وعندما
فرغا من طعامهما أصرّ على أخذها إلى البيت بسيارة أجرة.

كان منزل الفتاة قرب نوتينغ هيل غيت، ولدى وصولهما إلى
هناك أجرت فريدا حديثاً قصيراً مع صاحبة البيت، ثم عادت إلى
الميجر ويلبراهام وأخذته إلى الطابق الثاني حيث كانت لها غرفة نوم

وغرفة جلوس صغيرتان. قالت: إن الأمر كما ظنناه تماماً، لقد جاء رجلٌ صباح يوم السبت ليشرّف على تمديد سلك كهربائي جديد وأخبرها بوجود خطأ في تمديدات الأسلاك في غرفتي، وقد بقي هناك لفترة لا بأس بها.

قال ويلبراهام: أريني صندوق والدك.

أرته فريدا صندوقاً مرصعاً بالنحاس، وقالت وهي ترفع غطاءه: هل ترى؟ إنه فارغ.

أوماً العسكري برأسه متأملاً وقال: ألا توجد أوراق في أي مكان آخر؟

- لا أظن، لقد احتفظت أُمي بكل شيء هنا.

تفحص الميجر داخل الصندوق، وفجأة أطلق صيحة انفعال وهو يقول: "ههنا فتحة في البطانة". ثم أدخل يده بحذر وتلمس داخل الفتحة، وما لبث أن قال: لقد دُسّ شيء هنا.

وسرعان ما أخرج لُقيته، وكانت ورقة قذرة تم طيها عدة مرات. مسّدها على الطاولة وفريدا تنظر من ورائه، ثم هتفت بخيبة أمل: إنها مجرد علامات غريبة.

صاح الميجر ويلبراهام: عجباً، إنها مكتوبة باللغة السواحلية. بالسواحلية، من بين كل لغات الأرض؟! إنها لهجة سكان شرق أفريقيا.

- ما أغرب ذلك! هل تستطيع قراءتها إذن؟

قال: إلى حدّ ما. يا له من أمر مذهش!

ثم أخذ الورقة إلى قرب النافذة، فسألته فريدا بصوت مرتعش:
هل تعني شيئاً؟

قرأ الميجر الورقة بتمعن، ثم عاد إلى الفتاة وقال متبسماً:
حسناً، هذا هو كنزك المخبوء بالتأكيد.

- كنز مخبوء؟ حقيقة؟ أتعني أنه ذهب إسباني... سفينة ذهب
غارقة... شيء كهذا؟

- ربما لا يكون الأمر على هذا القدر من الرومانسية، ولكنه
نفس الشيء في النهاية. إن هذه الورقة تبين مخبأ كنز من العاج.

قالت الفتاة بدهشة: العاج؟

- نعم، من الفيلة كما تعلمين. يوجد قانون يحدد العدد الذي
يمكنك اصطياده منها، وقد نجح صياد ما في اصطياد أعداد كبيرة
والنجاح بفعلة. وحين تعقبوه دفن ما لديه من عاج... كمية هائلة منه.
وهذه الورقة تعطي فكرة واضحة تماماً عن كيفية العثور على المكان.
اسمعي، سيكون علينا أن نتتبع هذا الأمر، أنا وأنت.

- أتعني أنه يوجد -حقاً- مال كثير في هذا الأمر؟

- توجد ثروة لا بأس بها لك.

- ولكن كيف جاءت هذه الورقة لتصبح بين أوراق أبي؟

رفع الميجر كتفيه حيرة وقال: ربما كان ذلك الصياد يحتضر

مثلاً... وربما كان قد كتب هذه الورقة باللغة السواحلية من باب الحماية وأعطائها لوالدك الذي ربما كان قد صادقه بشكل ما، وبما أن والدك لم يكن بوسعه قراءتها فإنه لم يُعلق عليها أهمية كبيرة. هذا مجرد تخمين مني، ولكن لا أظنه تخميناً مُستبعداً جداً.

تنهدت فريدا وقالت: يا له من أمر مثير جداً!

- السؤال الآن: ما الذي نفعله بالوثيقة الثمينة. لا أحب تركها هنا، فربما عادوا ليبحثوا من جديد. لا أحسبك تأتمنينني عليها؟

- بل أفعل بالطبع، ولكن ألا يمكن أن يكون ذلك خطيراً عليك؟

قال الميجر متجهماً: "إنني شديد المراس، لا حاجة لأن تقلقي علي". ثم طوى الورقة ووضعها في محفظته وقال: هل أستطيع القدوم لرؤيتك مساء غدٍ؟ سأكون قد وضعتُ عندها خطة، وسأدقق في الأماكن على خريطتي. في أية ساعة تعودين من المدينة؟

- أعود في نحو السادسة والنصف.

- عظيم. وسوف نتناقش عندها في الأمر، وربما سمحت لي باصطحابك إلى العشاء. علينا أن نحتفل بهذا الأمر. وداعاً إذن، غداً في السادسة والنصف.

* * *

في اليوم التالي وصل الميجر في الوقت المحدد تماماً. رنَّ جرس البيت وسأل عن الأنسة كليغ. وقد فتحت له الباب خادمةً

وقالت: الآنسة كليغ؟ إنها ليست هنا.

لم يشأ الميجر ويلبراهام أن يقترح الدخول لانتظارها، بل قال:
سأعود بعد قليل.

تجول في الشارع المقابل متوقفاً - في كل لحظة - أن تتقدم منه فريدا. ومرت الدقائق، السابعة إلا ربعا، السابعة، السابعة والرابع، ولم تأت فريدا. اجتاحه شعور بعدم الارتياح، فعاد إلى البيت وقرع الجرس ثانية.

- اسمعي. لديّ موعد مع الآنسة كليغ في السادسة والنصف.
أأنت واثقة أنها ليست في الداخل، أو أنها لم... لم تترك ملاحظة؟

سألت الخادمة: أنت الميجر ويلبراهام؟

- نعم.

- معي رسالة لك. لقد جاءت باليد.

أخذ الرسالة وقرأها:

عزيزي الميجر ويلبراهام،

لقد حدث شيء غريب بعض الشيء. لن أكتب
المزيد الآن، ولكن هل لك أن تقابلني في منزل
وايت فرايرز؟ اذهب إلى هناك بمجرد حصولك
على هذه الرسالة.

المخلصة: فريدا كليغ

قطب الميجر ويلبراهام جبينه وهو يفكر بسرعة، ثم امتدت يده بشرود فأخرجت رسالة من جيبه وقال للخادمة: هل يمكنك الحصول لي على طابع؟

- أحسب أن السيدة باركنز قد تفيدك في ذلك.

ثم عادت بعد دقيقة ومعها طابع دفع الميجر ثمنه شلناً. وبعد دقيقة أخرى كان الميجر يمشي باتجاه محطة قطار الأنفاق حيث وضع الرسالة في صندوق بريدي لدى مروره.

أشعرته رسالة فريدا بعدم ارتياح شديد. ما الذي يمكن أن يأخذ الفتاة بمفردها إلى مسرح المواجهة المخيفة التي جرت بالأمس؟ هز رأسه حيرة. يا له من تصرف أحمق! هل ظهر ريد؟ هل نجح بشكل أو بآخر في جعل الفتاة تثق به؟ ما الذي أخذها إلى هامبستد؟

نظر إلى ساعته فوجدها تقارب الساعة والنصف. من شأنها أن تكون قد اعتمدت على انطلاقه إليها في السادسة والنصف. أي أن هناك ساعة كاملة من التأخير، وهي فترة طويلة. لو كان لديها من الحكمة ما يجعلها تعطيه لمحة عن الأمر!

حيرته الرسالة، وشعر -على نحو ما- بأن نبرة الاستقلالية فيها لم تكن من صفات فريدا كليغ.

كانت الساعة قد بلغت الثامنة إلا عشر دقائق عندما وصل إلى فرايرز لين، وكان الظلام قد بدأ يخيم. نظر بحدة حوله، فلم يجد أحداً. دفع البوابة المُخَلَّعة بهدوء بحيث انفتحت دون صوت. كان الممر خالياً، والبيت مظلماً. مشى في الممر بحذر وهو ينظر إلى

جانبيه، إذ لم يكن ينوي أن يؤخذ على حين غرة.

وفجأة توقف، فللحظة قصيرة فقط ظهرت التماعة ضوء من خلال إحدى النوافذ. فالبيت لم يكن فارغاً إذن! كان أحدهم في الداخل.

تسلل الميجر ويلبراهام بهدوء بين الأغصان وشق طريقه إلى مؤخرة المنزل، وفي النهاية عثر على ما كان يبحث عنه. كانت إحدى نوافذ الطابق الأرضي غير مقفلة، وكانت نافذة تبدو وكأنها غرفة الأواني الملحقة بالمطبخ. فتح النافذة وأضاء مصباحاً كهربائياً يدوياً (كان قد اشتراه من محل عند قدومه) وسلط الضوء على داخل الغرفة المهجورة، ثم تسلق فدخلها.

فتح باب الغرفة بكل حذر وأصغى، فلم يسمع شيئاً، وأضاء المصباح ثانية فوجده مطبخاً فارغاً. وخارج المطبخ كانت هناك بضع درجات، وباب بدا واضحاً أنه يؤدي إلى القسم الأمامي من المنزل.

فتح الباب وأصغى، فلم يسمع شيئاً. مشى بهدوء حتى أصبح الآن في الصالة الأمامية، ولم يكن هناك أيضاً أي صوت. كان هناك بابان أحدهما إلى يمينه والآخر إلى شماله. وقد اختار الباب الأيمن فأصغى عنده للحظة ثم أدار قبضته فانفتحت، فقام بفتح الباب ببطء شديد ثم دخل.

وأضاء المصباح ثانية فوجد الغرفة فارغة لا أثاث فيها... وفي تلك اللحظة بالذات سمع صوتاً خلفه فالتفت... ولكن الوقت كان متأخراً. نزل شيء ما على رأسه فسقط على الأرض مغشياً عليه.

لم يعرف الميجر ويلبراهام كم مرّ عليه من الوقت قبل أن يستعيد وعيه، ولكنه عاد إلى الحياة متألماً موجوع الرأس. وحاول التحرك ولكنه وجد ذلك مستحيلاً، فقد كان مربوطاً بالجبال.

وفجأة عاد له رشده وتذكر أنه قد ضُرب على رأسه. وأظهر له ضوء خافت ينبعث من مصباح زيتي في أعلى الجدار أنه كان في قبو صغير. نظر حوله فقفز قلبه، فعلى بعد خطوتين منه كانت فريدا مربوطة مثله، مغمضة العينين، ولكنها تنهدت وهو ينظر إليها بلهفة وفتحت عينيها. وقعت نظرتها المذعورة عليه فقفزت إلى عينيها نظرة فرح وتعرف، وقالت: أنت أيضاً! ما الذي حدث؟

- لقد خذلتك أيما خذلان. سعيّت مباشرة حتى وقعت في الفخ. أخبريني، هل تركت لي ملاحظة تطلين فيها أن ألتقيك هنا؟ انفتحت عينا الفتاة دهشة وقالت: أنا؟ أنت من أرسل لي ملاحظة!

- آه، هكذا إذن؟

- نعم، تلقيتها في المكتب، وقد طلبت مني لقاءك هنا بدل بيتي.

دمدم قائلاً: اتبعت نفس الطريقة معنا نحن الاثنين.

ثم شرح لها الموقف، فقالت: فهمت، فقد كانت الفكرة إذن...

- الحصول على الورقة... لا بد أننا كنا مُلاحقين بالأمس، وهكذا نالوا مني.

- وهل ... حصلوا عليها؟

قال العسكري وهو ينظر بحزن إلى يديه المقيدتين: لا أستطيع مد يدي للتأكد من ذلك مع الأسف.

بعد ذلك جفل الاثنان، فقد تكلم صوت، صوت بدا أنه قادم من الفراغ. قال الصوت: نعم، شكراً لكما. لقد حصلتُ عليها، بكل تأكيد.

جعلهما الصوت الخفي يرتعدان، وتمتمت فريدا: السيد ريد.

قال الصوت: ريد هو واحد من أسمائي يا فتاتي العزيزة... ولكنه واحد منها فقط، فلدي من الأسماء الكثير. والآن يؤسفني القول إنكما قد تدخلتما في خططي... وهو أمر لا أسمح به أبداً. إن اكتشافكما هذا البيت قضية خطيرة. إنكما لم تُخبرا الشرطة عن ذلك، ولكنكما قد تفعلان ذلك في المستقبل. أخشى أن لا أستطيع الثقة بكما في هذه المسألة. ربما وعدتما بالتزام الصمت، ولكن الوعود نادراً ما تُحترم. وهذا البيت مفيد جداً بالنسبة لي. بوسعكما تسميته «بيت التصفية»... البيت الذي لا عودة منه. فمن هنا تنتقلان إلى... عالم آخر. ويؤسفني القول إنكما ستنتقلان إلى ذلك العالم، وهو أمر مؤسف... ولكنه ضروري.

سكت الصوت لحظة ثم تابع يقول: لا إراقة دماء، فأنا أمقت إراقة الدماء. طريقتي أبسط بكثير، وهي حقاً ليست مؤلمة جداً كما فهمت. حسناً، ينبغي أن أذهب. طاب مساؤكما.

صاح ويلبراهام: اسمعني! افعل بي ما تشاء، ولكن هذه الفتاة

لم تفعل شيئاً... أبداً. لا يمكن أن يؤذيك إطلاق سراحها.

ولكن لم يكن ثمة جواب. وفي تلك اللحظة انطلقت صرخة
من فريدا: الماء... الماء!

التفت ويلبراهام متألماً ونظر إلى حيث تنظر فريدا، فرأى فتحة
عند السقف ينصبّ منها الماء بلا انقطاع.

صاحت فريدا بجنون: إنهم سيغرقوننا!

تبلل جبين ويلبراهام بالعرق وقال: لم ينته أمرنا بعد، سنصرخ
طلباً للنجدة. لا بد أن يسمعنا أحد. هيا، لنصرخ معاً.

صرخا بكل ما أوتيا من قوة، ولم يسكتا حتى بُحَّ صوتاهما.
قال الميجر بحزن: أخشى أنه لا فائدة، فنحن تحت الأرض، وأظن
أن الأبواب محكمة الإغلاق، ولو كان بالإمكان سماعنا لكم ذلك
الوحش أفواهنا دون ريب.

صاحت فريدا: والغلطة غلطتي، فأنا التي ورطتك في هذا
الأمر.

- لا تقلقي بشأن ذلك يا طفلتي. إنك أنت ما أفكر به الآن. لقد
وقعتُ في مآزق كثيرة من قبل وخرجتُ منها... لا تفقدي شجاعتك،
سأخرجك من هذه الورطة... لدينا الكثير من الوقت، فحسب معدل
دخول هذه المياه ستمر ساعات قبل حدوث أي مكروه.

- كم أنت رائع! أنا لم أقابل مثلك أبداً... إلا في الروايات.

- هراء... إنه المنطق فقط. والآن، عليّ أن أفك هذه الحبال.

وبعد نحو ربع ساعة وكثير من الجهد شعر ويلبراهام بأن قيوده تحللت إلى حدٍّ معقول، ثم تمكن من إحناء رأسه ورفع رسغيه ليهاجم عُقدَ الجبل بأسنانه، وبمجرد أن أصبحت يده طليقتين أصبح ما تبقى مسألة وقت فقط. كان جسمه قد تشنج وتصلب، ولكنه تحرر من الحبال وانكبَّ على الفتاة، وبعد لحظة كانت قد تحررت هي الأخرى.

لم يكن الماء قد بلغ إلا كاحليهما حتى الآن. قال العسكري: والآن، إلى الخروج من هنا.

كان باب القبو في أعلى درج صغير، ففحصه الميجر وقال: لا توجد صعوبة هنا، فهو باب أخرق الصنع ولن يلبث أن ينخلع من مفاصله.

وضع عليه كتفه وأخذ يدفع. طقطق الخشب، ثم سُمع صوت ارتطام، وانخلع الباب من مفاصله.

كان في الخارج درجٌ في أعلاه باب آخر... باب مختلف تماماً، من الخشب القوي وقضبان الحديد.

قال الميجر ويلبراهام: هذا أصعب قليلاً... ولكن مرحى، لدينا شيء من الحظ هنا، إنه غير مقفل.

فتحه ونظر إلى الخارج، ثم أشار للفتاة أن تتبعه. خرج الاثنان إلى ممر خلف المطبخ، وبعد لحظات كانا يقفان تحت النجوم في فرايرز لين.

قالت فريدا وهي تنشج قليلاً: آه! كم كان ذلك رهيباً!

طوقها بذراعيه وقال: يا حبيبتى المسكينة! لقد كنتِ شجاعة
بشكل رائع. فريدا... هل لك... أعني هل يمكنك... إنني أحبك
يا فريدا. هل تتزوجيني؟

وبعد فترة صمت مناسبة ومُرضية كثيراً لكلا الطرفين قال
الميجر ويلبراهام ضاحكاً: وفوق ذلك فلا يزال أمامنا سر العاج.

- ولكنهم أخذوا الورقة منك!

ضحك الميجر ثانية وقال: هذا ما لم يفعلوه أبداً! فقد كتبتُ
نسخة زائفة من الرسالة، وقبل أن آتي إليك هنا هذه الليلة وضعتُ
الرسالة الحقيقية في رسالة ووضعتها في صندوق البريد. لقد حصلوا
على النسخة الزائفة... وأتمنى لهم كل سعادة بها! أتعلمين ماذا
سنفعل يا حبيبتى؟ سنذهب إلى شرق أفريقيا لقضاء شهر غسلنا
وللبحث عن الكنز.

* * *

غادر السيد باركر باين مكتبه وصعد درجاً، وفي غرفة في أعلى
المبنى جلست السيدة أوليفر، كاتبة الروايات المثيرة التي أصبحت
الآن واحدة من موظفي السيد باركر باين.

قرع السيد باركر باين الباب ودخل. كانت السيدة أوليفر تجلس
على طاولة عليها آلة طباعة، وعدة دفاتر ملاحظات، وفوضى شديدة
من المخطوطات، وسلّة كبيرة من التفاح.

قال لها السيد باركر باين بمودة: كانت قصة جيدة جداً يا سيدة
أوليفر.

- هل نجحت؟ يسعدني ذلك.

- ولكن تلك المسألة الخاصة بصب مياه في القبو، ألا ترين ضرورة للتفكير بشيء أكثر إبداعاً في المستقبل؟

طرح اقتراحه ذلك بشيء من الخجل المطلوب، فهزت السيدة أوليفر رأسها بالنفي وقالت وهي تأخذ تفاحة من السلة: لا أظن ذلك يا سيد باين، فقد اعتاد الناس قراءة مثل هذه الأمور: أقيية تُملاً بالماء، تسريب غاز مسموم... إلى آخر ذلك. إن معرفة هذه الأمور مسبقاً تجعلها ذات متعة أكبر عندما تحدث للمرء. إن الجمهور محافظ يا سيد باين، وهو يحب الحيل القديمة نفسها.

- حسناً، أنت تعرفين أفضل مني.

اعترف السيد باركر باين بهذا وهو يفكر بست وأربعين رواية ناجحة للسيدة أوليفر حققت كلها أعلى المبيعات في إنكلترا وأمريكا وتُرجمت إلى الفرنسية والألمانية والإيطالية والهنغارية والفنلندية واليابانية والحبشية.

قال لها: ماذا عن التكاليف؟

- سحبت السيدة أوليفر ورقة وقالت: تكاليف زهيدة عموماً. لقد طلب الزنجان، بيرسي وجيري، مبلغاً بسيطاً جداً. وقد وافق الممثل الشاب لوريمر على أداء دور السيد ريد مقابل خمسة جنيهات، أما خطبة القبو فقد كانت تسجيلاً بالطبع.

- لقد أفادني منزل وايت فرايرز أيما فائدة، فقد اشتريته بثمن بخس جداً، وقد كان حتى الآن مسرحاً لإحدى عشرة مسرحية مثيرة.

- آه، لقد نسيت! أجزر جوني... خمسة شلنات.

- جوني؟

- نعم، الصبي الذي صب الماء من أباريق السقاية من خلال فتحة الجدار.

- آه، نعم. وبالمناسبة يا سيده أوليفر، كيف حدث أنك تعرفين اللغة السواحلية؟

- أنا لا أعرفها.

- فهمت. استعنتِ إذن بالمتحف البريطاني؟

- لا، بل بمكتب ديلفريدج للمعلومات.

تمتم قائلاً: ما أروع مصادر التجارة الحديثة!

قالت السيدة أوليفر: الأمر الوحيد الذي يقلقني هو أن الاثنين لن يجدا أي كنز عندما يصلان هناك.

- ولكن المرء لا يستطيع الحصول على كل شيء في هذا العالم. سيقضيان شهر غسل مثيراً على أي حال.

* * *

كانت السيدة ويلبراهام تجلس على كرسي، وكان زوجها يكتب رسالة. سألها: ما هو تاريخ اليوم يا فريدا؟

- السادس عشر.

- السادس عشر؟ يا إلهي!

- ما الأمر يا عزيزي؟

- لا شيء. تذكرت - فقط - رجلاً يُدعى جونز.

مهما كانت سعادة الزواج فإن هناك أموراً لا يبوح بها المرء.
فكر الميجر ويلبراهام قائلاً لنفسه: تبا! كان ينبغي أن أזור ذلك
المكتب وأستردّ مالي.

وبعد ذلك، ولأنه ذو عقل مُنصف، نظر إلى المسألة من زاوية
أخرى وقال لنفسه: ولكنني أنا من نقض الاتفاق، إذ أحسب أنني
لو ذهبتُ لرؤية جونز لكان قد حدث شيء ما. وعلى أية حال فإنني
لو لم أذهب لرؤية جونز لما قُدّر لي أبداً أن أسمع استغاثة فريدا،
وربما ما كنا لنتقي أبداً. ولذلك فربما كان لهم الحق، بشكل غير
مباشر، في جنيهاتي الخمسين!

السيدة ويلبراهام كانت تتابع هي الأخرى سلسلة أفكارها
الخاصة: كم كنتُ حمقاء غبية حين صدّقتُ ذلك الإعلان ودفعت
ثلاثة جنيهات لأولئك الناس. إنهم لم يفعلوا شيئاً يبرر ذلك المبلغ
بالطبع، ولم يحدث شيء أبداً. لو أنني عرفتُ فقط ما كان ينتظرني!
السيد ريد أولاً، ثم هذه الطريقة الرومانسية الغريبة التي دخل تشارلي
بها حياتي... والأنكى أن أفكر بأنني لولا المصادفة المحضة لما كان
لي أن ألتقيه أبداً!

التفتت وابتسمت لزوجها بحب.

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل
أن تكون قد استمتعت بقراءة جزء من هذه
المجموعة القصصية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذا الكتاب
(وسواء من الإصدارات) من موقعنا مباشرة،
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com